Yusuf b. Esbat 318

İbn Teymiyye, Mecmûu Fetâvâ,
C.V, s.122

297.55
TEY.M

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Ansiklopedisi
Kayıt
Demirbaş No.: 1312

نشأة الفكر الفلسفى
فى الإسلام

الزهد والتصوف فى القرنين الأول والثانى الهجريين

الجزء الثالث

تأليف
دكتور على سامى النشار
Ph. D. Cantab

الطبعة السابعة
١٩٧٨

دار المعارف

الذكر» إنما غايتها «رقة القلب» ولن يصل المريد إلى استجلاب نور القلب «إلا بدوام الحزن واستفتاح باب الحزن إنما هو بطول الفكر، والتماس وجود الفكر فى مواطن الخلوات[1]. مواطن الخلوات: إنه يصيح صيحة رهيبة: اعمل على أن ليس فى الأرض أحد غيرك. ولا فى السماء أحد غيره[2]

المعرفة:

والغاية من تصفية القلب هى التوصل إلى علم «المعرفة» إنها نور اليقين، بها يعرف الإنسان نفسه، ثم يعرف ربه. وقد رأينا من قبل مما ذكره من خاض العلوم المختلفة، وطالع الحكمة، ودرس المعقول والمنقول فلم يجد «من العلم علما. ولا للصدر أشفى، ولا للهم أتقى، ولا بالعبد أولى من علم معرفة المعبود: وتوحيده، واليقين بآخرته». ومهما جهد السالك نفسه فلن يصل إلى نهاية هذا العلم «والفكر ليست لها غاية، والإلهام لا نهاية له[3]»، وبدون هذا العلم يصح الارتياب أى الشك، إنه هو الطريق الوحيد اليقينى لمعرفة الله. ولذلك يقول لأحمد بن أبى الحوارى: ما أعرف أحداً إلا من عرف مولاه، وأشتهى أن لا أموت حتى أعرفه معرفة العارفين الذى يستحيونه لا معرفة التصديق. ومرة أخرى يقول له: «أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاى. يا أحمد: ليس المعرفة الإقرار به. ولكن المعرفة التى إذا عرفت، استحييت[4] وإذا ما توصلت النفس إلى معرفة الله، المعرفة الذوقية الانتداحية. وتوضحت لها حقيقة لفظة الجلالة «تلذذت الجوارح بذكرها. وهشت الأبدان لاستماعها، ووضحت العقول حقائقها، وهان على المسامع وعيها، مستأنسه إليها أرواح الموقنين، مطمئنة إليها أنفس المتقين. وآلهة عليها أبصار المتفكرين، قنعة بها قلوب المستبصرين، متناهية إليها أوهام المتوهمين، ساكنة إليها فكر الناظرين، مستبشرة بها إخلاص السابقين. كلمة خف على القلوب محملها. ولان على الجوارح ملفظها. وسلس على الألسن ترديدها. وبادر على اللهوات مقالتها، وبرد على الأكباد لذاذتها[5]» وتلك هى غاية الزاهد...

وبعد: فتلك صورة تركيبية لأفكار الشيخ القديم من زهاد المسلمين، وأول زاهد فى أنطاكية، الثغر الشمالى الغريب. ولكن ما لبث أن ظهر فى أنطاكية مدرسة زهد تختلف أشد الاختلاف عن منهج أحمد بن عاصم. كانت تستند أولا على الفقه والحديث، وإن أنكرتهما حين بلغ الزهد بهم مداه[6]

(١) أبو نعيم: الحلية ج ٩ ص ٢٨٨
(٢) السلمى: طبقات ص ١٣٩.
(٣) أبو نعيم: ج ٩ ص ٢٨٩.
(٤) أبو نعيم: حلية ج ٩ ص ٢٨٩.
(٥) نفس المصدر: ج ٩ ص ٢٨٢، وابن الجوزى صفة: ج ٤ ص ٢٥٢
(٦) نفس المصدر: ج ٩ ص ٢٨١.

٢ – يوسف بن أسباط:

وكان أبرز هؤلاء الزهاد من أهلها – وكما قلت من قبل – هو يوسف بن أسباط (المتوفى عام ١٩٩) الزاهد والفقيه والمحدث الشامى المشهور. وتتميز مدرسة أنطاكية، وبخاصة فى يوسف بن أسباط، ميزان زهاد الثغور والعواصم: اجتماع الفقه والحديث والزهد فى شخص العابد أو الزاهد أو المرابط. ولقد كان يوسف بن أسباط من كبار المحدثين. إذ تلقى الحديث والفقه عن إمامه الكبير سفيان الثورى. وهذا يعنى أن يوسف بن أسباط عاش فى الكوفة فترة، وانتقل مع سفيان الثورى وصاحبه فى رحلاته المتعددة. ثم ما لبث أن عاد إلى شيخ موطنه حيث استقر فيه، وكان شيخ قرية من قرى أنطاكية[1].

كان يوسف بن أسباط أكبر تلامذة الثورى بلا شك، وقد حمل فقهه وعلمه، كما حمل تزهده وعبادته إلى الشام، بل حاكاه حتى فى أسلوب حياته. وقد اتخذ قاعدة أستاذه «كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان شيئاً» بل زاد أنه ورث عن أبيه سبعين ألف درهم، ولم يأخذ منها شيئاً، وكان يتكسب من صنع الخوص بيده[2]. وقد نأى بهذا عن الأمراء والحكام، وازدراهم كما ازدراهم سفيان من قبل «ويذكر تلميذه عبد الله بن ضيق أنه كان لديه حين حضر أمير أنطاكية – وعليه «قلنسوة شاشية» يسأله فى مسألة فقهية. فرد عليه يوسف «إن أستاذى سفيان كان لا يفتى من على رأسه مثل هذا»، فأطاع الأمير وخلع قلنسوته. فأفتاه سفيان[3] ... وأطلق صيحة أستاذه الرهيبة – فى الشام كما أطلقها سفيان من قبل فى الكوفة «الزهد فى الرياسة أشد من الزهد فى الدنيا[4]»، ثم انقض يوسف على القراء، كما انقض أستاذه من قبل «والله لقد أدركت أقواما فساقا، كانوا أشد إبقاءاً على مروءاتهم من قراء أهل هذا الزمان على أديانهم» ثم يردد «إياك أن تكون من قراء السوء»... ويردد أقوال سابقيه فى هؤلاء القراء: الحسن البصرى وأبا رزين والثورى بل خشى يوسف على الأمة كلها من هؤلاء القراء «إنى أخاف أن يعذب الله الناس بذنوب العلماء[5]» وهو ينهى صديقه العابد أبا إسحاق الفزارى عن الحديث «بلغنى أنك صرت آنسا بأهل الجفاء». فرد عليه

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية.
ماكس مايرهوف: انتقالى التراث ص ٦٧ – ٧٣.
(٢) القشيرى: الرسالة ج ٢ ص ٥٤٣. وأنظر أيضا قوت القلوب لأبى طالب المكى ج ١ ص ٥٢٣، ج ٢ ص ٤٢١.
(٣) أبو نعيم: حلية ج ٨ ص ٢٤٣ – ٢٤٤.
(٤) أبو نعيم: حلية ج ٨ ص ٢٣٨، ابن الجوزى، صفة ج ٤ ص ٢٣٦.
(٥) نفس المصدر: ج ٨ ص ٢٣٩، ابن الجوزى، صفة ج ٤ ص ٢٣٦.